المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

كلمة الناشر

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم.. والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية.. والمعاناة السياسية والاجتماعية التي تقاسيها بمضض.. وفوق ذلك كله، الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئنّ من وطأتها العالم أجمع.. والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرةً في حلّ جميع أزماته ومشاكله في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة.. والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة، وبلورة الثقافة الدينية الحيّة، وبثّ الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم خريطة المستقبل المشرق.. كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بنشر مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها المرجع الديني الإمام الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) في ظروف وأزمنة مختلفة،

حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقد قام سماحته ﷾ بتهذيبها والإضافة عليها، فقمنا بطباعتها مساهمةً منا في نشر الوعي الإسلامي، وسدّاً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد.. وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]. الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وإنذار الأمة، ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في مواقفه وشؤونه.. كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[2].

إن مؤلفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) تتسم بـ:

أولاً: التنوّع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة، لكونها انعكاساً لشمولية الإسلام.. فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، بدءً من موسوعة (الفقه) التي بلغت المائة والستين مجلداً، حيث تُعدّ أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية في العالم الإسلامي، مروراً بعلم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي تتجاوز بمجموعها الـ (١٣٠٠) كتاب وكراس.

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) سورة الزمر: ١٧ -١٨.

ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن الكريم والسنة المطهرة وتستلهم منهما الرؤى والأفكار.

ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية المستبصرة بمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر. رابعاً: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة سهلة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية، مدعومة بشواهد من واقع الحياة.

نرجو من المولى العلي القدير أن ينفع بذلك، إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أسس التغيير

قال الله تعالى: ﴿إِنّ اللهَ لاَ يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّىَ يُغَيّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيّراً نّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىَ قَوْمٍ حَتّىَ يُغَيّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أبي كان يقول: «إن الله قضى قضاءً حتماً لا ينعم على عبده بنعمة فيسلبها إياه قبل أن يحدث العبد ما يستوجب بذلك الذنب سلب تلك النعمة، وذلك قول الله

---

(١) سورة الرعد: ١١.

(٢) سورة الأنفال: ٥٣.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما من سلطان آتاه الله قوةً ونعمةً فاستعان بها على ظلم عباده إلاّ كان حقاً على الله أن ينزعها منه، ألم تر إلى قول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾[3]»[4].

المجتمع وما فيه عادةً نحو التغيير، فربما كان من حسن إلى أحسن، وربما من سيء إلى حسن، وربما من حسن إلى سيء، وربما من سيء إلى أسوء، وربما غير ذلك، كما لو تغير من أسوء إلى حسن أو أحسن، والعكس أيضا. فالحالات الأربعة: الحسن والأحسن والسيء والأسوء تنتج اثنتي عشرة صورة.

ومن أهم أسس التغيير: هو التغيير في النفس، فإذا تغير الإنسان أو تغيرت الأمة، غيّر الله ما بهم.

والتغيير قد يكون فرديا، وقد يكون جمعيا، أي على مستوى الأمة. وربما كان تغيير الفرد سببا أو مؤثراً في تغيير المجتمع، وربما

---

(١) سورة الرعد ١١.

(٢) بحار الأنوار: ج٦ ص٥٦ ب٢٢ ح٤.

(٣) سورة الرعد: ١١.

(٤) إرشاد القلوب: ج١ ص٦٨ ب١٦.

كان العكس. على تفصيل مذكور في علم الاجتماع.

والأنبياء عليهم السلام بعثهم الله لتغيير الفرد والمجتمع نحو الخير والفضيلة والتقوى، ولإنقاذه من الشر والرذيلة والعصيان.

النذير العريان

ورد في كتاب (المجازات النبوية)[1] ـ وفي كتب الأمثال أيضاً [2] ـ

---

(١) كتاب المجازات النبوية لمؤلفه الشريف الرضي رحمه الله محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن الرضي العلوي الحسيني الموسوي، أشعر الطالبيين على كثرة المجيدية فيهم، مولده (٣٥٩هـ) في بغداد، ووفاته فيها عام (٤٠٦هـ)، انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده، وخلع عليه بالسواد. جاء في كلمة الناشر لكتاب المجازات: وهو كتاب جمع من بلاغة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبديع قوله وخالص نصحه وحلو ألفاظه، جملة يشتاق كل مسلم إلى الاطلاع عليها، ويحرص كل متذوق لحلاوة اللغة العربية على اقتنائها، ويتفانى كل مسلم في إقامة صرح البلاغة العربية في قراءتها واستخراج فنون القول وبدائع الحديث النبوي الشريف منها..

أما الحديث فقد وجدناه بهذا النص: قال عليه الصلاة والسلام: «أنا النذير والموت المغير»، فكأنه عليه الصلاة والسلام شبه الموت الذي يطلع الثنايا، ويطلب البرايا بالجيش المغير الذي يهجم هجوم السيل، ويطرق طروق الليل، وشبه نفسه عليه الصلاة والسلام بالنذير المتقدم أمامه، يحذر الناس من فجئه ليعدوا العتاد، ويتزود الأزواد. وهذا القول منه عليه الصلاة والسلام تصديق لقول الله سبحانه فيه: ﴿إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ سورة سبأ: ٤٦. المجازات النبوية: ص١٨٤ ح١٤٤.

(٢) روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء، فأطاعته طائفة ←

عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أنا النذير العريان»[1].

وروى العلامة المجلسي رحمه الله قوله ﷺ: «أنا النذير العريان، فالنجا النجا»، أي انجوا بأنفسكم[2].

فما معنى هذا الحديث؟ وما معنى (العريان) هنا؟

للجواب على هذا السؤال لابُدّ مِنَ الرجوع والاطلاع على تاريخ ما قبل الإسلام، لكي نستوعب جوانب الحديث..

فقبل مجيء الإسلام، كانت الحرب بين القبائل أمراً عادياً ومألوفاً، حتى أنها كانت القبائل ولأتفه الأسباب تقف ضد بعضها، ويحتدم بينها النزاع ويطول، وربما يمتد عشرات السنين، كما حصل في حرب البسوس[3]..

→

من قوم فادلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبته طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق».

وقيل: خص العُرْيان لأنه أَبْيَنُ للعين وأغرب وأَشنع عند المُبْصِر، وذلك أن رَبيئة القوم وعَيْنَهم يكون على مكان عالٍ، فإذا رأى العَدُوَّ وقد أَقبل نَزَع ثوبه وألاحَ به لِيُنْذِرَ قومَه ويَبْقى عُرْياناً. انظر لسان العرب: ج١٥ ص٤٨ مادة «عرو».

(١) قال البعض: إن قوله (أنا النذير العريان) مثل قديم في العرب.

(٢) بحار الأنوار: ج٨١ ص١٢٩ ب١٣ بيان.

(٣) حرب البسوس: البسوس هي بنت منقذ التميمية، زارت أختها أم جساس ابن مرة، ←

وحرب داحس والغبراء[1]..

→

ومع البسوس جار لها من جرم يقال له: سعد بن شمس ومعه ناقة له، فرماها كليب وائل لما رآها في مرعى قد حماه، فأقبلت الناقة إلى صاحبها وهي ترغو وضرعها يشخب لبناً ودماً، فلما رأى ما بها انطلق إلى البسوس فأخبرها بالقصة، فقالت: واذلاه واغربتاه، وأنشأت تقول أبياتا تسميها العرب أبيات الفناء وهي:

لعمري لو أصبحت في دار منقذ لما ضيم يعد وهو جار لأبياتي
ولكنني أصبحت في دار غربة متى يعد فيها الذئب يعد على شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل فإنك في قوم عن الجار أمواتي
ودونك أذوادي فخذها وآتني بها حلة لا يغدرون ببنياتي

فسمعها ابن أختها جساس فقال لها: أيتها الحرة اهدئي فوالله لأقتلن بلقحة جارك كليبا، ثم ركب فخرج إلى كليب فطعنه طعنة أثقلته فمات منها، ووقعت الحرب بين بكر وتغلب، فدامت أربعين سنة وجرت خطوب وصار شؤم البسوس مثلا، ونسبت الحرب إليها، وهي من أشهر حروب العرب.

(١) إن داحسا فرس كان لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيد بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة بن ذبيان، يقال لها: الغبراء. فدس حذيفة قوما وأمرهم أن يضربوا وجه داحس إن رأوه قد جاء سابقا، فجاء داحس سابقا فضربوا وجهه، وجاءت الغبراء. فلما جاء فارس داحس أخبر قيسا الخبر، فوثب أخوه مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء، فقام حمل بن بدر فلطم مالكا. ثم إن أبا الجنيدب العبسي لقى عوف بن حذيفة فقتله، ثم لقى رجل من بني ←

وما أشبه.

وكانت القبائل تُغير إحداها على الأخرى، فتقتل الرجال بكل قساوة، وتأسر النساء والأطفال، وتسلب الأموال..

وكان هناك شخص نذير، يخرج عرياناً لإنذار قومه، على ما سيأتي تفصيله.

←

فزارة مالكا فقتله، فقال حمل بن بدر أخو حذيفة بن بدر:

قتلنا بعوف مالكا وهو ثأرنا فإن تطلبوا منا سوى الحق تندموا

وقال الربيع بن زياد العبسي:

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الاطهار

فوقعت الحرب بين عبس وفزارة، فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر، فقال قيس بن زهير بن جذيمة يرثي حذيفة، وجزع عليه:

كم فارس يدعى وليس بفارس وعلى الهباءة فارس ذو مصدق

فابكوا حذيفة لن ترثوا مثله حتى تبيد قبائل لم تخلق

وقال الجوهري: الداحس اسم فرس مشهور لقيس بن زهير بن جذيمة العبسي، ومنه حرب داحس، وذلك أن قيسا وحذيفة بن بدر تراهنا على خطر عشرين بعيرا وجعلا الغاية مائة غلوة والمضمار أربعين ليلة والمجرى من ذات الإصاد، فأجرى قيس داحسا والغبراء وأجرى حذيفة الخطار والحنفاء، فوضعت بنو فزارة رهط حذيفة كميناً على الطريق فردوا الغبراء ولطموها وكانت سابقة، فهاجت الحرب بين عبس وذبيان أربعين سنة.

فقوله ﷺ كناية عن أهمية إنذاره.

قالوا: إن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يحدق بهم من الخطر، نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيداً منهم ليخبرهم بوقوع الخطر وليحذرهم بما دهمهم، وأكثر من يفعل هذا هو رئيس القوم ورقيبهم، وقالوا: وإنما يفعل ذلك لأنه أبين للناظر وأغرب وأشنع منظراً فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو.

وقيل: معناه أنا النذير الذي أدركني العدو فأخذ ثيابي فإنذركم عرياناً [1].

وقيل: إن العريان بمعنى فصيح اللسان، فهو مأخوذ من أعرب الرجل عن حاجته إذا أفصح عنها.

التعصبات الباطلة

كما أن هناك أسبابا للتغيير، هناك موانع عن التغيير أيضا،

---

(١) وقيل: إن زنبر بن عمرو الخثعمي كان ناكحاً في آل زبيد، فأرادوا أن يغزوا قومه وخشوا أن ينذر بهم، فحرسه أربعة نفر، فصادف منهم غرة فقذف ثيابه وعدا، وكان من أشد الناس عدواً ـ أي ركضا ـ فأنذر قومه.

وقيل: الأصل فيه أن رجلاً لقي جيشاً فسلبوه وأسروه فانفلت إلى قومه فقال: إني رأيت الجيش فسلبوني، فرأوه عريانا فتحققوا صدقه.

فالعديد من أفراد المجتمع الجاهلي لم يقبلوا التغيير نحو الحسن لوجود التعصبات فيهم، فالتعصب مانع من التغيير.

وقد كانت الروحية السائدة آنذاك تندفع وراء النزاعات المادية، وتقف مدافعة عن الاعتقادات الباطلة والعادات الساذجة، وكان الجهل والعصبية المحرك الرئيسي لها. وإنَّ الاختلافات كانت في أغلب الأحيان تصل إلى الإبادة والتدمير، دون أن تقيم وزناً للأخلاق والقيم الإنسانية..

وما نراه ـ اليوم ـ من حروب بين الناس، فإنه يرجع في كثير من الأحيان، إلى تلك النعرات القبلية الجاهلية، أو إلى النزعات القومية التي توارثها الناس، جيلاً عن جيل. وبدأوا يحكمونها على المنطق والعقل والقيم الصحيحة، فكانت مانعة عن التغيير نحو الحسن.

ولذا فإنّ العصبية المذمومة المتوارثة من العصر الجاهلي، هي التي توجب الإعانة على الظلم، وإثبات الباطل، والتفاخر بالأمور التافهة، التي توجب المنقصة، وبث الخلاف بين الناس.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من عصبية، بعثه الله عزّ وجل يوم القيامة مع أعراب الجاهلية»[1].

وسُئل الإمام علي بن الحسين عليه السلام عن العصبية فقال:

(١) بحار الأنوار: ج٧٠ ص ٢٨٩ ب١٣٣ ح٧.

«العصبية التي يأثم عليها صاحبها: أنْ يرى الرجل شرار قومه خير من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أنْ يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أنْ يُعين الرجل قومه على الظلم»[1].

وقال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «وأما الأغنياء من مترفة الأمم فتعصبوا لآثار مواقع النعم فـ: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[2].. فإن كان لابد من العصبية، فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الأمور، التي تفاضلت فيها المجداء[3] والنجداء[4] من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل[5]، بالأخلاق الرغيبة والأحلام العظيمة والأخطار الجليلة والآثار المحمودة، فتعصبوا لخلال الحمد: من الحفظ للجوار، والوفاء بالذمام، والطاعة للبر، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل، والكف عن البغي، والإعظام للقتل، والإنصاف للخلق، والكظم للغيظ، واجتناب الفساد في الأرض.

واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٧٣ ب٥٧ ح٢٠٧٧٨.

(٢) سورة سبأ: ٣٥.

(٣) المجداء: الشرفاء والكرماء من القوم.

(٤) النجداء: أهل الإعانة والاستغاثة.

(٥) اليعاسيب جمع يعسوب: وهو أمير النحل، ويستعمل مجازاً في رئيس القوم.

وذميم الأعمال. فتذكروا في الخير والشر أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم، فإذا تفكرتم في تفاوت حاليهم، فالزموا كل أمرٍ لزمت العزة به شأنهم، وزاحت الأعداء له عنهم، ومدت العافية به عليهم، وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حبلهم، من الاجتناب للفرقة، واللزوم للألفة، والتحاض عليها، والتواصي بها، واجتنبوا كل أمرٍ كسر فقرتهم، وأوهن منتهم، من تضاغن القلوب، وتشاحن الصدور، وتدابر النفوس، وتخاذل الأيدي.

وتدبروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم، كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء؛ ألم يكونوا أثقل الخلائق أعباءً وأجهد العباد بلاءً، وأضيق أهل الدنيا حالاً، اتخذتهم الفراعنة عبيداً، فساموهم سوء العذاب وجرعوهم المرار، فلم تبرح الحال بهم في ذل الهلكة وقهر الغلبة، لا يجدون حيلةً في امتناعٍ، ولا سبيلا إلى دفاعٍ، حتى إذا رأى الله سبحانه جدّ الصبر منهم على الأذى في محبته، والاحتمال للمكروه من خوفه، جعل لهم من مضايق البلاء فرجاً، فأبدلهم العز مكان الذل، والأمن مكان الخوف، فصاروا ملوكاً حكاماً وأئمةً أعلاماً، وقد بلغت الكرامة من الله لهم ما لم تذهب الآمال إليه بهم.

فانظروا كيف كانوا، حيث كانت الأملاء مجتمعةً، والأهواء

مؤتلفةً، والقلوب معتدلةً، والأيدي مترادفةً، والسيوف متناصرةً، والبصائر نافذةً، والعزائم واحدةً، ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين، وملوكاً على رقاب العالمين، فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم، حين وقعت الفرقة وتشتتت الألفة واختلفت الكلمة والأفئدة، وتشعبوا مختلفين وتفرقوا متحاربين، وقد خلع الله عنهم لباس كرامته، وسلبهم غضارة نعمته، وبقي قصص أخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين.

فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل فما أشد اعتدال الأحوال وأقرب اشتباه الأمثال، تأملوا أمرهم في حال تشتتهم وتفرقهم، ليالي كانت الأكاسرة والقياصرة أرباباً لهم، يحتازونهم عن ريف الآفاق، وبحر العراق، وخضرة الدنيا إلى منابت الشيح[1]، ومهافي[2] الريح، ونكد المعاش، فتركوهم عالةً مساكين، إخوان دبرٍ[3] ووبرٍ[4]، أذل الأمم داراً، وأجدبهم قراراً، لا يأوون إلى جناح دعوةٍ يعتصمون بها، ولا إلى ظل ألفةٍ يعتمدون

---

(١) الشيح: نبات معروف ينبت في البادية.

(٢) المهافي: المواضع التي تهفو الرياح أي تهب.

(٣) الدَبَر ـ بالتحريك ـ القرحة في ظهر الدابة.

(٤) شعر الجمال والمراد أنهم رعاة.

على عزها، فالأحوال مضطربةٌ والأيدي مختلفةٌ والكثرة متفرقةٌ، في بلاء أزلٍ وأطباق جهلٍ، من بناتٍ موؤودةٍ[1] وأصنامٍ معبودةٍ وأرحامٍ مقطوعةٍ وغاراتٍ مشنونةٍ.

فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم حين بعث إليهم رسولاً [2] فعقد بملته طاعتهم، وجمع على دعوته ألفتهم، كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها، وأسالت لهم جداول نعيمها، والتفت الملة بهم في عوائد بركتها، فأصبحوا في نعمتها غرقين، وفي خضرة عيشها فكهين، قد تربعت الأمور بهم في ظل سلطانٍ قاهرٍ، وآوتهم الحال إلى كنف عز غالبٍ، وتعطفت الأمور عليهم في ذرى ملكٍ ثابتٍ، فهم حكامٌ على العالمين، وملوكٌ في أطراف الأرضين، يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم، ويمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم، لا تغمز لهم قناةٌ ولا تقرع لهم صفاةٌ.

ألا وإنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعة، وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية، فإن الله سبحانه قد امتن على جماعة هذه الأمة، فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة، التي

---

(١) من (وأد بنته) أي: دفنها وهي حية.

(٢) وهو سيد الكائنات المبعوث رحمة للعالمين الرسول الأعظم محمد ﷺ.

ينتقلون في ظلها ويأوون إلى كنفها، بنعمةٍ لا يعرف أحدٌ من المخلوقين لها قيمةً؛ لأنها أرجح من كل ثمنٍ، وأجل من كل خطرٍ.

واعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعراباً [1]، وبعد الموالاة

---

(١) الأَعْرابيُّ: البَدَويُّ، وهم الأَعْرابُ، والأعاريبُ: جمع الأَعْرابِ. ورجل أَعْرَابيٌّ، بالألف، إذا كان بَدَوِياً، صاحبَ نَجْعَةٍ وانْتواءٍ وارْتيادٍ للكلأ، وتَتَبُّعٍ لمَساقِطِ الغَيْث، وسواء كان من العَرَب أو من مَواليهم. والأَعْرابيُّ إذا قيل له: يا عَرَبيُّ فَرِحَ بذلك وهَشَّ له. والعَرَبيُّ إذا قيل له: يا أَعْرابيُّ غَضِبَ له. فَمَن نَزَل البادية، أو جاوَرَ البَادِينَ وظعَنَ بظَعْنِهم، وانْتَوَى بانْتِوائهم: فهم أَعْرابٌ، ومَن نَزَلَ بلادَ الرِّيفِ واسْتَوْطَنَ المُدُنَ والقُرى العَربيةَ وغيرها ممن يَنْتمِي إلى العَرَب: فهم عَرَب، وإن لم يكونوا فُصَحاءَ. وقول الله عز وجل: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ سورة الحجرات: ١٤. فَهؤُلاء قوم من بَوادي العَرَب قَدِمُوا على النبي ﷺ المدينةَ طَمَعاً في الصَّدَقات، لا رَغْبَةً في الإسلام، فسماهم الله تعالى: الأَعْرابَ، ومثلهم الذين ذكرهم الله في سورة التوبة، فقال: ﴿الأَعْرابُ أشدّ كفراً ونِفاقاً﴾ سورة التوبة: ٩٧.

قال الأزهري: والذي لا يَفْرِقُ بين العَرَبِ والأَعْراب والعَرَبيِّ والأَعْرابيِّ، ربما تَحامَلَ على العَرَب بما يتأوّله في هذه الآية، وهو لا يميز بين العَرَبِ والأَعْراب، ولايجوز أن يقال للمهاجرين والأنصار أعرابٌ، إنما هم عَرَبٌ لأنهم اسْتَوطَنُوا القُرَى العَرَبية، وسَكَنُوا المُدُنَ، وسواء منهم الناشىء بالبَدْوِ ثم اسْتَوْطَنَ القُرَى، والنَّاشِىءُ بمكة ثم هاجر إلى المدينة، فإن لَحِقَتْ طائفةٌ منهم بأَهل البَدْوِ بعد هجرتهم، واقْتَنَوْا نَعَماً، ورَعَوْا مَساقِطَ الغَيْث بعد ما كانوا حاضِرَةً أو مُهاجِرَةً، قيل: قد تَعَرَّبوا أي صاروا أَعْراباً، بعد ما كانوا عَرَباً. وفي الحديث: تَمَثَّل في خُطْبَتِه مُهاجِرٌ ليس بِأَعْرابيّ، جعل المُهاجِرَ ضِدَّ الأَعْرابيِّ. وتَعَرَّبَ أي تَشَبَّه بالعَرَب، و تَعَرَّبَ بعد هجرته أي صار ←

أحزاباً، ما تتعلقون من الإسلام إلاّ باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلاّ رسمه، تقولون: النار ولا العار، كأنكم تريدون أن تكفئوا الإسلام على وجهه، انتهاكاً لحريمه، ونقضاً لميثاقه، الذي وضعه الله لكم حرماً في أرضه، وأمناً بين خلقه، وإنكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر، ثم لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا أنصارٌ ينصرونكم، إلا المقارعة بالسيف، حتى يحكم الله بينكم.

وإن عندكم الأمثال من بأس الله وقوارعه وأيامه ووقائعه، فلا تستبطئوا وعيده جهلاً بأخذه، وتهاوناً ببطشه، ويأساً من بأسه، فإن الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلاّ لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلعن الله السفهاء لركوب المعاصي، والحلماء لترك التناهي. ألا وقد قطعتم قيد الإسلام وعطلتم حدوده وأمتم أحكامه»[1].

وهذه الخطبة الشريفة تبين العديد من أسباب وموانع التغيير، سواء كان التغيير من السيء إلى الحسن، أو العكس.

→

أعراباً. قال: والأَعْراب ساكنو البادية من العَرَب الذين لا يقيمون في الأَمصارِ، ولا يدخلونها إِلا لحاجة. راجع لسان العرب: ج١ ص٥٨٦ مادة «عرب».

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٩٢ من خطبة له عليه السلام تسمى القاصعة.

الحروب القبلية

لقد كانت حروب العرب في الجاهلية ـ غالباً ـ تتخذ طابعين وأسلوبين في القتال: الأول منهما: وهي الحروب القصيرة الأمد، التي لا تكاد تستمر ساعات أو أياماً قلائل على الأكثر، وتكون بشكل غارة تشنها قبيلة على أخرى، وتنتهي بعد أن يكون الطرفان، أو أحدهما قد تشتت شمله، وانتهب رحله، ولعبت السيوف في رقاب أهله، ثم اقتيد الباقون، أسارى وسبايا.

وأمّا النوع الثاني من الحروب، فهي: الحرب الطويلة الأمد، والتي كانت تظل أحياناً مستعرة إلى عشرات السنين، من قبيل حرب الأوس والخزرج، التي بقيت «مائة عام» كما في بعض التواريخ[1].

---

(١) الأوس والخزرج قبيلتان عربيتان من الأزد، وهم أبناء حارثة بن ثعلبة، ارتحلتا من اليمن إثر تصدع سد مأرب، فاستوطنوا المدينة المنورة، ونصروا رسول الله ﷺ وآمنوا به، فسموا بالأنصار في قبال المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة. وقد اشتهرت تلك الحروب بين الأوس والخزرج حتى كانت لها أيام مشهورة عند العرب، منها: يوم الصفينة، وهو أول يوم جرت الحرب فيه، ويوم السرارة، ويوم وفاق بني خطمة، ويوم حاطب بن قيس، ويوم حضير الكتائب، ويوم أطم بني سالم، ويوم أبتروة، ويوم البقيع، ويوم مضرس ومعبس، ويوم الدار، ويوم بعاث الاخر، ويوم فجار الأنصار. وكانوا ينتقلون في هذه المواضع التي تعرف أيامهم بها ويقتتلون قتالاً شديداً.

روى علي بن إبراهيم القمي رحمه الله فقال: قدم أسعد بن زرارة، وذكوان بن عبد قيس في موسم من مواسم العرب، وهما من الخزرج، وكان بين الأوس والخزرج حرب قد بغوا فيها دهوراً طويلة، وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بغاث[1]، وكانت الأوس على الخزرج، فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكة في عمرة رجب يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقا لعتبة بن ربيعة، فنزل عليه فقال له: إنه كان بيننا وبين قومنا حرب وقد جئناكم نطلب الحلف عليهم. فقال عتبة: بعدت دارنا من داركم ولنا شغل لانتفرغ لشيء. قال: وما شغلتكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟

قال له عتبة: خرج فينا رجل يدعي أنه رسول الله، سفه أحلامنا، وسب آلهتنا، وأفسد شبابنا، وفرق جماعتنا !.

فقال له أسعد: من هو منكم؟

قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفاً، وأعظمنا بيتاً.

---

(١) يوم بغاث أو بعاث، بضم الباء: يوم معروف، كان فيه حرب بين الأوس والخزرج في الجاهلية، هو من مشاهير أيام العرب، وبعاث: اسم حصن للأوس، انظر لسان العرب: ج٢ ص١١٧ مادة «بعث».

وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم ـ النظير وقريظة وقينقاع ـ أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجره بالمدينة، لنقتلنكم به يا معشر العرب.

فلما سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمعه من اليهود، قال: فأين هو؟

قال: جالس في الحِجر، وإنهم لا يخرجون من شعبهم إلاّ في الموسم، فلا تسمع منه ولاتكلّمه؛ فإنه ساحر يسحرك بكلامه. وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشعب.

فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر، لابد لي أن أطوف بالبيت؟

فقال: ضع في أذنيك القطن.

فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه من القطن، فطاف بالبيت ورسول الله ﷺ جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم، فنظر إليه نظرة فجازه، فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل مني، أيكون مثل هذا الحديث بمكة فلا نعرفه حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم؟ ثم أخذ القطن من أذنيه ورمى به وقال لرسول الله ﷺ: أنعم صباحا.

فرفع رسول الله ﷺ رأسه إليه، وقال: «قد أبدلنا الله به ما هو

أحسن من هذا، تحية أهل الجنة: السلام عليكم».

فقال له أسعد: إن عهدك بهذا لقريب، إلى ما تدعو يا محمد؟

قال: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأدعوكم ﴿أَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

فلما سمع أسعد هذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله، يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين إخواننا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك فلا أجد أعزّ منك، ومعي رجل من قومي، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فيك، والله يا رسول الله، لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، وكانوا يبشروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن تكون دارنا دار هجرتك، وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله

---

(١) سورة الأنعام: ١٥١ـ ١٥٢.

الذي ساقني إليك، والله ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا، وقد أتانا الله بأفضل مما أتيت له.

ثم أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود تبشرنا به وتخبرنا بصفته، فهلم وأسلم، فأسلم ذكوان، ثم قالا: يارسول الله، ابعث معنا رجلا يعلمنا القرآن ويدعو الناس إلى أمرك.

فقال رسول الله ﷺ لمصعب بن عمير، وكان فتى حدثاً مترفاً بين أبويه يكرمانه ويفضلانه على أولادهم ولم يخرج من مكة، فلما أسلم جفاه أبواه، وكان مع رسول الله ﷺ في الشعب حتى تغير وأصابه الجهد، فأمره رسول الله ﷺ بالخروج مع أسعد، وقد كان تعلم من القرآن كثيراً..

فخرج هو مع أسعد إلى المدينة ومعهما مصعب بن عمير، وقدموا على قومهم وأخبروهم بأمر رسول الله ﷺ وخبره، فأجاب من كل بطن الرجل والرجلان، وكان مصعب نازلاً على أسعد بن زرارة، وكان يخرج في كل يوم ويطوف على مجالس الخزرج يدعوهم إلى الإسلام فيجيبه الأحداث..

وكان عبد الله بن أُبيّ شريفاً في الخزرج، وقد كان الأوس والخزرج اجتمعت على أن يملكوه عليهم لشرفه وسخائه، وقد

كانوا اتخذوا له إكليلاً احتاجوا في تمامه إلى واسطة كانوا يطلبونها، وذلك أنه لم يدخل مع قومه الخزرج في حرب بغاث ولم يعن على الأوس، وقال: هذا ظلم منكم للأوس ولا أعين على الظلم، فرضيت به الأوس والخزرج، فلما قدم أسعد كره عبد الله ما جاء به أسعد وذكوان وفتر أمره.

فقال أسعد لمصعب: إن خالي سعد بن معاذ من رؤساء الأوس، وهو رجل عاقل شريف مطاع في بني عمرو بن عوف، فإن دخل في هذا الأمر تم لنا أمرنا، فهلم نأتي محلتهم.

فجاء مصعب مع أسعد إلى محلة سعد بن معاذ فقعد على بئر من آبارهم واجتمع إليه قوم من أحداثهم وهو يقرأ عليهم القرآن، فبلغ ذلك سعد بن معاذ، فقال لأسيد بن حضير وكان من أشرافهم: بلغني أن أبا أمامة أسعد ابن زرارة قد جاء إلى محلتنا مع هذا القرشي يفسد شباننا، فأته وانهه عن ذلك.

فجاء أسيد بن حضير، فنظر إليه أسعد فقال لمصعب بن عمير: إن هذا الرجل شريف، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتم أمرنا، فأصدق الله فيه. فلما قرب أسيد منهم قال: يا أبا أمامة، يقول لك خالك: لا تأتنا في نادينا، ولا تفسد شباننا، واحذر الأوس على نفسك.

فقال مصعب: أو تجلس فنعرض عليك أمراً، فإن أحببته دخلت فيه، وإن كرهته نحينا عنك ما تكرهه.

فجلس، فقرأ عليه سورة من القرآن.

فقال: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الأمر؟

قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين ونشهد الشهادتين ونصلي ركعتين. فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر، ثم خرج وعصر ثوبه، ثم قال: أعرض عليّ، فعرض عليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فقالها، ثم صلى ركعتين، ثم قال لأسعد: يا أبا أمامة، أنا أبعث إليك الآن خالك وأحتال عليه في أن يجيئك.

فرجع أسيد إلى سعد بن معاذ، فلما نظر إليه سعد قال: اقسم أن أسيداً قد رجع إلينا بغير الوجه الذي ذهب من عندنا، فأتاهم سعد بن معاذ فقرأ عليه مصعب: ﴿حم ۞ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [1] فلما سمعها، قال مصعب: والله، لقد رأينا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم، فبعث إلى منزله وأتى بثوبين طاهرين واغتسل وشهد الشهادتين وصلى ركعتين، ثم قام وأخذ بيد مصعب وحوله إليه وقال: أظهر أمرك ولا تهابن أحدا.

---

(١) سورة فصلت: ١ـ ٢.

ثم جاء فوقف في بني عمرو بن عوف وصاح : يا بني عمرو بن عوف لايبقين رجل ولا امرأة ولا بكر ولا ذات بعل ولا شيخ ولا صبي إلاّ أن يخرج، فليس هذا يوم ستر ولا حجاب. فلما اجتمعوا قال: كيف حالي عندكم؟

قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا، ولا نرد لك أمراً، فمرنا بما شئت.

فقال: كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم علي حرام حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والحمد لله الذي أكرمنا بذلك، وهو الذي كانت اليهود تخبرنا به. فما بقي دار من دور بني عمرو بن عوف في ذلك اليوم إلاّ وفيها مسلم أو مسلمة، وحول مصعب بن عمير إليه وقال له: أظهر أمرك وادع الناس علانية. وشاع الإسلام بالمدينة وكثر، ودخل فيه من البطنين جميعا أشرافهم، وذلك لما كان عندهم من أخبار اليهود.

وبلغ رسول الله ﷺ أن الأوس والخزرج قد دخلوا في الإسلام، وكتب إليه مصعب بذلك، وكان كل من دخل في الإسلام من قريش ضربه قومه وعذبوه، فكان رسول الله ﷺ يأمرهم بالخروج إلى المدينة، وكانوا يتسللون رجلاً فرجلاً فيصيرون

إلى المدينة فينزلهم الأوس والخزرج عليهم ويواسونهم..[1].

ويُذكر أنّه قبل اندلاع هذه الحرب، وقبل إعداد الجيوش لها، وقف شخص يعود إلى إحدى القبيلتين، وصعد إلى مكان عال، وصاح بأعلى صوته: لا تبقوا لهم عامِرَ دار، ولا نافخ نار، ولا طالب ثأر!!

وهذا يعني تدمير بيت الخصم وعياله بالكامل، حتى الطفل الرضيع، فعمّار الدور هم الرجال، ونافخ النار هنَّ النساء، وطالب الثأر هو الطفل الرضيع، الذي يكبر فيقوم للطلب بثأر أبيه..

وكان من العرف الجاري حينذاك قبل شروع بعض الحروب، هو استكشاف رغبة الخصم فيها، لذا جرت العادة أنْ يرسلوا إليهم شخصاً عرياناً، يركب أحسن الجياد وينذرهم، فإمّا أنْ يظعنوا عن الديار إلى مكان آخر ـ ويكون نائياً بالطبع ـ أو يرضوا بالحرب حلاً. وكان هذا الشخص الذي يأتي بالإنذار عرياناً. ولذلك سُمّي بين العرب «بالنذير العريان» أي: إنّ إنذاره هو الإنذار الأخير. والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قد خاطب الناس في بداية الدعوة إلى

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى: ص٥٥ الركن الأول ب٣ ف٧.

الإسلام، بقدر عقولهم، والأعراف الخاصّة بهم. وفي الحديث الشريف عنه: «إنا معاشر الأنبياء أُمرنا أنْ نُكَلِّمْ الناس على قَدرِ عقولهم»[1].

وعلى هذا فإطلاقه ﷺ لفظة (العريان) على شخصِه الكريم، لكون القبائل كلها يومئذٍ، ستفهم المراد من كلامه ﷺ.. لأنه يريد أنْ يوصل لهم هذا المعنى، وهو: يا أيها الناس، إني آخر نذير إليكم، فإن لم تستجيبوا لأمر الله فإن حياتكم وأموالكم سوف تكون هدفاً للمشاكل، ومحلاً لنزول العذاب من بعد ما صدر الإنذار والتهديد، وتكون الخسارة ما بعدها خسارة، وهو معنى ما جاء في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[2] أي أنّ الخاسرين خسراناً حقيقياً هم الذين خسروا أنفسهم بحرمانها من النجاة، وخسروا أهليهم بعدم الانتفاع بهم يوم القيامة.

وبعبارة أخرى: خسران النفس هو إيرادها مورد الهلكة والشقاء، بحيث يبطل منها استعداد الكمال، ولا تحصل على السعادة، وخسران الأهل كذلك يكون بحملهم على الكفر

---

(١) تحف العقول: ص٣٧ ما روي عنه ﷺ في قصار هذه المعاني.

(٢) سورة الشورى: ٤٥.

والشرك. وذلك هو الخسران المبين.

لذا ولأجل أن نفوز بالآخرة ـ بعد العزم والتوجّه ـ علينا أنْ نهيأ الأسباب بالابتعاد عن الجاهلية، والنزعات الطائفية، والحروب القبلية، وأنْ نعرف الواجبات الملقاة على عاتقنا، بعد الإنذار الأخير، الذي وُجّه من قبل الرسول الأعظم ﷺ بترك التعصب، والتخلي عن العصبيات الجاهلية، والدخول تحت لواء المبادىء الحقة، مبادىء الإسلام الحنيف.

وبعبارة أخرى علينا أن نخطو نحو التغيير إلى الخير والفضيلة والتقوى.

ولا يكون التغيير إلاّ بعد توفر أسبابه ورفع موانعه.

واجب المسلمين

نعم قد تغير المجتمع الجاهلي ببركة رسول الله ﷺ وبعد أن غيرّوا أنفسهم، فأصبح مجتمعاً مثالياً متطوراً، ولكن اليوم رجعت الأمة إلى الجاهلية، حيث غيّرت تلك الأسس الأخلاقية والقيم الإلهية التي أمر بها رسول الله ﷺ.

وإذا أردنا التغيير مرة ثانية علينا بالبدء بأنفسنا، فـ ﴿إِنّ اللهَ لاَ

يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّىَ يُغَيّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (١).

ويلزم على المسلمين ـ فرداً فرداً ـ في عصرنا هذا، أن يضعوا هذه الرواية (أنا النذير العريان) نصب أعينهم، لماذا؟

لأن الأئمة عليهم السلام كل واحد منهم هو نذير، وإنّ الأرض لا تخلو منهم أبداً، ولو أراد أحد أنْ يتخلى عن الأئمة المعصومين عليهم السلام فستشمله هذه الآية المباركة: ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾(٢). ولأن الشرق والغرب هم دائماً في حالة رقابة تامة على كل تحركات المسلمين. ولو أنّ المسلمين ضعفوا مرة واحدة وتقاعسوا فجأةً، فسيأتي الشرق والغرب ليسلبوا منهم المال والجاه، وحتى الأرواح، كما نرى الآن في أكثر البلاد الإسلامية، كأفغانستان والعراق ولبنان وإندونيسيا، وغيرها..

فإذا أردنا النجاة والتحرر والوقوف بوجه الشرق والغرب، فعلينا أنْ نعتبر بكلام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الطاهرة عليهم السلام، ولأن الأئمة الأطهار عليهم السلام من بعده صلى الله عليه وآله وسلم هم أيضاً النذر، والإمام الحجة صاحب العصر والزمان عليه السلام هو النذير في وقتنا هذا، وقد أُشير إلى ذلك في الاحاديث الشريفة الواردة عنهم

---

(١) سورة الرعد: ١١.

(٢) سورة الشورى: ٤٥.

عليهم السلام.

فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطهور، فلما فرغ أخذ بيد علي عليه السلام فألزمها يده ثم قال: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾[1] ثم ضم يده إلى صدره، وقال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾[2] ثم قال: يا علي أنت أصل الدين، ومنار الإيمان، وغاية الهدى، وقائد الغر المحجلين، أشهد بذلك»[3].

وفي رواية عن أبي بردة الأسلمي قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالطهور وعنده علي بن أبي طالب عليه السلام فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي عليه السلام بعد ما تطهر ـ وهو الطاهر ـ فألزقها بصدره، ثم قال: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾[4]..

ثم ردها إلى صدر علي عليه السلام، ثم قال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾[5] » ثم قال: «إنك منارة الأنام، ورواية الهدى، وأمير القرى، أشهد على ذلك، إنك كذلك».[6]

---

(١) سورة الرعد: ٧.

(٢) سورة الرعد: ٧.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٣ ص٣ ب١ ح٢.

(٤) سورة الرعد: ٧.

(٥) سورة الرعد: ٧.

(٦) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢ ب١.

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾[1] قال عليه السلام: «رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر، وعلي عليه السلام الهادي، والله ما ذهبت منا وما زالت فينا إلى الساعة»[2].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾؟ فقال عليه السلام: «رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر وعلي عليه السلام الهادي. يا أبا محمد، فهل منا هاد اليوم؟» قلت: بلى جعلت فداك، ما زال فيكم هاد من بعد هاد، حتى رفعت إليك. فقال عليه السلام: «رحمك الله يا أبا محمد، ولو كانت إذا نزلت آية على رجل، ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية مات الكتاب، ولكنه حي يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى»[3].

وعن سليمان بن مهران الأعمش، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض، كما أن

---

(١) سورة الرعد: ٧.

(٢) بصائر الدرجات: ج٢٣ ص٣٠ ب١٣ ح٧.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٣ ص٤ ب١ ح٦.

النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وبنا يُنشر الرحمة، ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها» ثم قال عليه السلام: «ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله». قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟

قال عليه السلام: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»(١).

وباتخاذنا الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه) نذيراً وهادياً، عندها ستكون ظلمتنا نوراً، وضعفنا قوة، وتفرقنا اتحاداً، ونفوز برضا الله تعالى، ويتحقق نصرنا الأكيد. ونكون قد أدّينا الواجب الملقى على عاتقنا، تجاه الدين والأمّة، وأصبحنا من القوة بحيث لا يرعبنا اسم الشرق أو الغرب، بل سنكون في الموقع الأمامي، الذي أراده الله تعالى للأمة الإسلامية، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»(٢).

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص١٨٦ المجلس٣٤ ح١٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٦ ص١٤ ب١ ح٣٢٣٨٣.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه، واصطنعه على عينه، وأصفاه خيرة خلقه، وأقام دعائمه على محبته، أذلّ الأديان بعزته، ووضع الملل برفعه، وأهان أعداءه بكرامته، وخذل محادّيه بنصره..»[1].

المذابح والاستهانة بالإنسان

يذكر أن رئيس فيتنام قال، في زمن الحرب التي شنتها أمريكا ضدهم: قد قُتل خمسمائة ألف إنسان واختلطت دماؤهم بالتراب[2]. علما بأن هذه الإحصائية لم تكن النهائية. فإنه لما انتهت الحرب تجاوز القتلى المليونين.

وقال زعماء السوفيت: إنهم لا يحتاجون من شعب أفغانستان إلاّ مليونين فقط من مجموع السكان! وهذا يعني أنهم لا يحسبون للباقي وهم (١٨) مليوناً أي حساب، ولو أرادوا لشردوهم أو قتلوهم.

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٩٨ من خطبة له عليه السلام ينبه على إحاطة علم الله بالجزئيات ثم يحث على التقوى..

(٢) لقد ذكروا أن اجمالي الخسائر البشرية من الفيتناميين خلال سنوات الحرب الثمانية، بلغت مليونا قتيل، و٣ ملايين جريح، وما يزيد على ١٢ مليون لاجئ. أما خسائر الأميركيين فقدرت بـ: ٥٧ ألف قتيل، وما يزيد على مائة ألف جريح.

وفي إحدى البلاد الإسلامية، قال رئيسها: إنّ من يفكر في استلام السلطة مكاني، فعليه أنْ يستلم أرضاً جرداء بلا شعب، بمعنى أنه مستعد لإبادة كل الشعب في سبيل البقاء على سلطته [1].

---

(١) يشير الإمام الشيرازي الراحل (أعلى الله مقامه) في هذا المقطع من الكتاب إلى صدام طاغوت العراق في العصر الحديث، وهو أتعس نموذج للدكتاتوريين، صاغه الغرب وفق متطلبات المنطقة وظروفها السياسية، وحافظ على أمنه الشخصي في أدق الظروف وأحلك اللحظات. ولد عام (١٩٣٩م) في قرية العوجة جنوب تكريت، نشأ نشأة غير سوية بشهادة كل من عرفه، انتمى إلى حزب البعث واشترك مع بعض عناصر الحزب في محاولة فاشلة لاغتيال عبد الكريم قاسم عام (١٩٥٩م) هرب إلى سوريا ومنها إلى مصر. وخلال فترة بقائه في القاهرة كان يكثر التردد على السفارة الأمريكية، فقد ذكر في صحيفة الشرق الأوسط ـ عن أحد كبار المسؤولين العرب ـ بأن عبد الناصر أبلغ المسؤول العربي أن صدام هو رجل أمريكا الأول في المنطقة في المستقبل، وقد كان دائم التردد على السفارة الأمريكية بالقاهرة، وأن المخابرات المصرية قد صورت ورصدت كل تحركاته واتصالاته بالسفارة الأمريكية.

اشترك في انقلاب (١٧ تموز ١٩٦٨م)، وبعد نجاح الانقلاب كان صدام المنفذ الأول لتصفية مجموعة عبد الرزاق النايف المشتركة في الانقلاب، وذلك بعد ثلاثة عشر يوما من انقلابهم، أي في يوم ٣٠ تموز. أصبح صدام نائباً لمجلس قيادة الثورة في عام (١٩٧٠م) ورئيساً للجمهورية حال غياب البكر عن البلاد.

وفي عام (١٩٧٩م) أصبح رئيساً للجمهورية بعد إقصاء البكر عن الحكم، ألغى اتفاقية الجزائر التي وقعها مع شاه إيران عام (١٩٧٥) فهاجم إيران عام (١٩٨٠م) فاندلعت حرب استمرت ثمان سنوات أحرقت الأخضر واليابس، راح ضحيتها من الشعبين ما يزيد على مليوني قتيل، وبعدما توقفت الحرب عاد صدام واعترف باتفاقية ←

وكذلك فرنسا، فقد قامت بقتل أكثر من مليون جزائري وقيل مليونين، حينما أرادت الجزائر أنْ تحصل على استقلالها، علماً بأنّ نفوس الجزائر كانت آنذاك تسعة ملايين نسمة [1].

→

الجزائر التي ألغاها!!

هاجم الكويت واحتلها عام (١٩٩٠م) فاندلعت حرب الخليج الثانية، فقامت قوات الحلفاء بقيادة أمريكا بمهاجمة الجيش العراقي بغية اخراجه من الكويت وتم ذلك، فلم تضع تلك الحرب أوزارها حتى كان العراق يعاني من دمار شامل في جميع مرافق الحياة وفي كل بناه التحتية، وضحايا لم تضبط أعدادها، ووضع العراق تحت حصار طويل الأمد بقرار من مجلس الأمن بحجة تدمير أسلحة الدمار الشامل التي طالما تبجح الطاغية صدام بها متوعدا اميركا وإسرائيل بحرقهم بها، والتي لم يستخدمها إلا مع شعبه في حلبجة وباقي مدن العراق قبل وبعد انتفاضة عام (١٩٩١م)، التي قمعها صدام بوحشية لا مثيل لها، حتى قدر عدد من قتل وأعدم واختفى بما يزيد على (٥٠٠ ألف) ـ وقيل مليون ـ عراقي.

انهار نظام صدام واحتل العراق بحرب شنتها أميركا عام (٢٠٠٣م) بالتحالف مع بريطانيا وبعض الدول الأخرى، فهرب صدام وأعوانه من المعركة، ألقي القبض عليه مختبئا في جحرٍ تحت الارض كالجرذ بعد كل ذلك الجبروت والكبرياء والفرعنة التي اتسم بها طيلة حياته، وهذا حال الكثير من أركان نظامه الذين تم إلقاء القبض عليهم تباعاً، فاستراح الشعب منه ومن جرائمه، ثم شكلت محكمة لمحاكمة صدام وأعوانه، فأصبح ذليلاً حقيراً مذموماً مدحوراً، ثم حُكم عليه بالإعدام شنقاً ونفذ الحكم والحمد لله قاصم الجبارين.

(١) تعرف الثورة الجزائرية باسم: ثورة المليون شهيد، وهي حرب تحرير وطنية ثورية ضد الاستعمار الاستيطاني الفرنسي قام بها الشعب الجزائري، وكانت نتيجتها انتزاع ←

→

الجزائر لاستقلالها بعد استعمار شرس وطويل استمرّ أكثر من ١٣٠ عاماً. وقد انطلقت الرصاصة الأولى للثورة في تشرين الثاني عام (١٩٥٤م).

وقد بدأت هذه الثورة بقيام مجموعات صغيرة من الثوار المزوّدين بأسلحة قديمة وبنادق صيد وبعض الألغام باستهداف مراكز الجيش الفرنسي ومواقعه في أنحاء مختلفة من البلاد وفي وقت واحد.

أما ردة فعل المستعمر الفرنسي فكانت القيام بحملات قمع واسعة للمدنيين وملاحقة الثوار، حيث قام بعمليات عسكرية ضخمة ضد الثوار. وبلغ قمع البوليس الفرنسي حده الأقصى في المدن والأرياف، وفرضت على الأهالي معسكرات الاعتقال الجماعي في مختلف المناطق.

وقد تمكّن جيش التحرير الجزائري من إقامة بعض السلطات المدنية في بعض مناطق الجنوب الجزائري. وخوض معارض عنيفة ضد الجيش الفرنسي واعتمد خطة توزيع القوات على جميع المناطق من أجل إضعاف قوات العدو المهاجمة، وتخفيف الضغط على بعض الجبهات، بالإضافة إلى فتح معارك مع العدو من أجل إنهاكه واستنزاف قواته وتحطيمه.

وفي (١٩ أيلول عام ١٩٥٨م) تمّ إعلان الحكومة الجزائرية المؤقتة برئاسة فرحات عباس، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت هذه الحكومة هي الممثل والناطق باسم الشعب الجزائري والمسؤولة عن قيادة الثورة سياسياً وعسكرياً ومادياً، وقامت بإجراء المفاوضات مع الفرنسيين بشرط الاعتراف المسبق بالشخصية الوطنية الجزائرية. وطرحت قضية الجزائر في الأمم المتحدة وفي مؤتمر الشعوب الأفريقية ولاقت التضامن والدعم والتأييد لها.

وفي (١٦ أيلول ١٩٥٩م)، أعلن الجنرال ديغول اعتراف فرنسا بحق الجزائر في تقرير مصيرها. وكان جواب الحكومة الجزائرية المؤقتة قبولها لمبدأ تقرير المصير واستعدادها للتفاوض المباشر في الشروط السياسية والعسكرية لوقف القتال وتوفير الضمانات

←

وأيضاً كَتَبَ نِهرو[1] في بعض كتبه: إنّ الإنكليز افتعلوا حرباً

→

الضرورية لممارسة تقرير المصير.

وفي الأعوام (١٩٦٠ ـ ١٩٦٢م): حاول الفرنسيون حسم القضية الجزائرية عسكرياً ولكنهم لم يفلحوا في ذلك؛ لأن جذور الثورة كانت قد تعمقت وأصبحت موجودة في كل مكان. وشن الفرنسيون عدة حملات عسكرية ضخمة على مختلف المناطق الجزائرية، ولكنها جميعاً باءت بالفشل وتكبّد الجيش الفرنسي خلالها خسائر فادحة، وفي (١٩٦٠م) تم تشكيل أول هيئة أركان للجيش الجزائري وتعيين العقيد هواري بومدين أول رئيس للأركان لهذا الجيش.

وفي آذار عام (١٩٦٢م) توقف القتال بين الطرفين وتحدد يوم الأول من تموز لإجراء استفتاء شعبي، فصوّت الجزائريون جماعياً لصالح الاستقلال، وتحقق الهدف السياسي والأساسي الأول لحرب التحرير، بعد أن دفع الشعب الجزائري ضريبة الدم غالية في سبيل الحرية والاستقلال.. وبعد أن استمرت الحرب قرابة ثماني سنوات سقط خلالها ما يقرب من مليون ونصف مليون شهيد.

وصادف بدء انسحاب القوات الفرنسية في (٥ تموز ١٩٦٢م) نفس يوم دخولها (٥ تموز ١٨٣٠م) أي بعد (١٣٢ عاماً) من الاستعمار، كما انسحبت هذه القوات من نفس المكان الذي دخلت منه إلى الجزائر في منطقة (سيدي فرج) القريبة من الجزائر العاصمة. وتمّ تعيين أحمد بن بيلا كأول رئيس لجمهورية الجزائر المستقلة بعد خروجه من السجون الفرنسية مع عدد من قادة الثورة وكوادرها.

(١) ولد جواهر لال نهرو في (١٨٨٩م)، وكان الابن البكر للمحامي موتيلال نهرو وزوجته سواروب. انتقلت عائلته عام (١٩٠٠م) إلى مدينة الله آباد، التحق نهرو بمدرسة هارو، أشهر مدرسة ثانوية بريطانية في ذلك الحين. ثم تابع دروسه فحصل على إجازة في العلوم الطبيعية وإجازة في الحقوق من جامعة كامبردج. عاد إلى الهند ←

في الصين، راح ضحيتها عشرون مليوناً تحت اسم حرب

→

بعد إنهاء دراسته سنة (١٩١٢م) وكان مفعما بالأفكار الوطنية وشديد الإعجاب بغاندي، الذي كانت الصحف تنشر أخباره وأفكاره. شكلت العلاقة الحميمة بين نهرو ووالده وغاندي أهمية كبرى لحزب (المؤتمر) الهندي، مما دعا بعض الصحفيين إلى إطلاق لقب (الثالوث المقدس) عليهم.

بحلول العام (١٩٢٠م) كان موتيلال، الذي تبع خطى ولده جواهرلال في الإعجاب بغاندي، يتخلى عن معظم ممتلكاته من سيارات وأحصنة وعربات مفضلا ارتداء زي مماثل لما كان يرتديه غاندي والعيش ببساطة وتقشف، وكان ابنه جواهرلال قد سبقه إلى ذلك.

عام (١٩١٩م) انتسب نهرو إلى حزب المؤتمر وشارك في إطلاق الحركة التي عرفت باسم (حركة اللاتعاون) مع البريطانيين، وكان من المتحمسين لها.

انخرط نهرو بأعمال المعارضة الهندية اللاعنفية، ولكن قوات الشرطة اعتقلته حيث تعرض للضرب المبرح.

في عام (١٩٢٩م) انتخب نهرو رئيسا لحزب المؤتمر في عموم الهند. ومع بدء حركة العصيان المدني السلمي التي دعا إليها حزب المؤتمر تعرض إلى الاعتقال أكثر من مرة.

اختير ليكون كبير المفاوضين عن حزب المؤتمر في مفاوضات (انتقال السلطة) من الإنكليز. وعند نجاح المفاوضات صار نهرو رئيسا للحكومة الانتقالية، وفي (آب ١٩٤٧م) صار أول رئيس وزراء لدولة الهند المستقلة.

توفي نهرو عام (١٩٦٤م) مما سبب حزن كبير للهنود. وخلفته ابنته (أنديرا) في منصب رئاسة الحكومة الهندية.

قال فيه شاعر الهند طاغور ما معناه: لقد مثل نهرو موسم الشباب والفرح الظافر بروح عديمة الفساد قوامها النضال والإخلاص المتفاني في خدمة قضية الحرية.

الافيون[1].

(١) اهتمت بريطانيا في نهاية القرن (١٨ الميلادي)، بفتح أبواب الصين أمام تجارتها العالمية، فطلب الملك جورج الثالث من الإمبراطور الصيني شيان لونج توسيع العلاقات التجارية بين البلدين..إلا أن الإمبراطور رفض ذلك، وفي المقابل كان على التجار البريطانيين دفع قيمة مشترياتهم من الصين من الشاي والحرير والبورسلين نقدا بالفضة، مما تسبب في استنزاف مواردهم منها؛ لذلك لجأت بريطانيا إلى دفع إحدى شركاتها ..وهي شركة الهند الشرقية البريطانية (East India Company) التي كانت تحتكر التجارة مع الصين إلى زرع الأفيون في المناطق الوسطى والشمالية من الهند وتصديره إلى الصين، كوسيلة لدفع قيمة وارداتها للصين.

تم تصدير أول شحنة كبيرة من الأفيون إلى الصين في عام (١٧٨١م) وقد لاقت تجارة الأفيون رواجاً كبيراً في الصين، وازداد حجم التبادل التجاري بين البلدين، وبدأت بشائر نجاح الخطة البريطانية في الظهور؛ إذ بدأ الشعب الصيني في إدمان الأفيون، وبدأ نزوح الفضة من الصين لدفع قيمة ذلك الافيون. وبدأت مشاكل الادمان تظهر على الشعب الصيني مما دفع بالإمبراطور يونغ تيكينج في عام (١٧٢٩م) بإصدار أول مرسوم بتحريم استيراد المخدرات. غير أن شركة الهند الشرقية البريطانية لم تلتفت لهذا المنع واستمرت في تهريب الأفيون إلى الصين.

وتصاعدت حركة التهريب للأفيون إلى الصين بصورة تدريجية، حيث لم يُهرَّب إليها في عام (١٧٢٩م) سوى (٦٠٨ كغم) من الأفيون قدرت تكلفتها بخمسة عشر مليون دولار. ثم في عام (١٧٩٢م) وصلت المهربات الى (٢٧٢ طناً).

انزعجت الصين لهذه الظاهرة، وللخطر الذي يمثله تعاطي الأفيون الواسع على صحة المواطنين، والذي يسبب تدمير المجتمع الصيني، لذلك أصدر الإمبراطور الصيني قرارا آخر، عندما أجبر التجار البريطانيين والأمريكيين على تسليم مخدراتهم من الأفيون الذي بلغ ألف طن، وقام بإحراقه في احتفالية كبيرة شهدها المناوئون لهذا المخدر. ←

→

عندها قررت بريطانيا وكانت في أوج قوتها في ذلك الوقت إعلان الحرب على الصين لفتح الأبواب من جديد أمام تجارة الأفيون للعودة من جديد، وبحث البريطانيون عن ذريعة بحجة (تطبيق مبدأ حرية التجارة) وكان النظام العالمي في ذلك الوقت يقوم على مبدأين هما حرية التجارة ودبلوماسية السفن المسلحة. فأرسلت بريطانيا في عام (١٨٤٠م) سفنها وجنودها إلى الصين لإجبارها على فتح أبوابها للتجارة بالقوة. استمرت حرب الأفيون الأولى إلى عام (١٨٤٢م) واستطاعت بريطانيا بعد مقاومة عنيفة من الصينيين، احتلال مدينة دينج هاي في مقاطعة شين جيانج.. واقترب الأسطول البريطاني من البوابة البحرية لبكين، دفع ذلك الإمبراطور الصيني للتفاوض مع بريطانيا وتوقيع اتفاقية نان جنج في (١٨٤٢م).

لم تحقق هذه المعاهدة ماكانت تصبوا إليه بريطانيا والقوى الغربية، فلم يرتفع حجم التجارة مع الصين كما كانوا يتوقعون؛ لذلك قررت بريطانيا وفرنسا استخدام القوة مرة أخرى ضد الصين، واتخذوا ذريعة جديدة هذه المرة.

فاستطاعت فيها القوات البريطانية والفرنسية احتلال بعض الأراضي والموانيء الصينية مما جعل الإمبراطور يقبل مراجعة الاتفاقات وتوقيع اتفاقية (تيان جين) في عام (١٨٥٨م) بين الصين وكل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا والتي تعطي لهم مزيداً من الامتيازات. نصت اتفاقية (بتان جن)، على التصديق عليها خلال عام من توقيعها. وحين تأخرت الصين في التصديق استخدمت بريطانيا وفرنسا القوة مرة أخرى لتحقيق ذلك واستطاعت قواتهما دخول (تيان جن) في ربيع عام (١٨٦٠م) ثم تقدمت نحو (بكين) ودخلوها في اكتوبر (١٨٦٠م) وتوجهوا إلى القصر الصيفي للإمبراطور الذي يبعد بضعة أميال عن بكين، وهذا القصر يعتبر أعظم وأفخم قصور العالم، ويحتوي على آثار تاريخية وتحف وذهب لايقدر بثمن. وقام الضباط البريطانيون والفرنسيون بنهب محتوياته لمدة أربعة أيام، وأضرموا فيه النار بعد ذلك.

←

ومن هنا يعلم مدى وحشية أعداءالإسلام، وأعداء الإنسانية، ولكن يمكن الوقوف أمامهم بقوة الإيمان، والاعتقاد الراسخ، وبتغيير واقعنا اليوم إلى ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعترة الطاهرة عليهم السلام.

وبذلك يكون الوقوف بوجه الكفار، والتحصن من مخططاتهم، المضادة للإنسان والإسلام، والكفر ملّة واحدة.

ومن أجل تحقيق التغيير نحو الأفضل، يلزم أن نبدأ بنشر العقيدة الإسلامية في قلوب الناس، ابتداءً من التوحيد والنبوة، وانتهاءً ببقية أصول ومعتقدات الإسلام، وبعد ذلك نعمل على ترويج الأعمال الصالحة التي ترضي الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى يحصل النصر والفلاح إن شاء الله تعالى.

←

رضخ الإمبراطور لمطالبهم ووقع الاتفاقيات مع كل من فرنسا وبريطانيا، وكذلك روسيا والولايات المتحدة التي منحت امتيازات أكثر.

وارتفع عدد المدمنين في الصين من مليوني مدمن عام (١٨٥٠م) ليصل إلى (١٢٠ مليوناً سنة ١٨٧٨م)، ولكن حروب الأفيون لم تنته نهائياً إلا باتفاقية (٨ أيار ١٩١١م). وتضل حربي الأفيون الشهيرتين بمثابة فضيحة لا مثيل لها في الحياة السياسية والاقتصادية في التاريخ، فضيحة تدل على استبداد القوى الغربية الاستعمارية وتقديمها لمصالحها المالية على حساب كل القيم والمبادئ والاخلاقيات.

قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] والفلاح هو الظفر بالسعادة، أي فازوا بخير الدنيا وسعادة الآخرة، فقد شاركوا اهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الآخرة في آخرتهم، والمؤمن هو المصدق برسالات الله، واطلاقه في الشريعة منصرف الى المصدق بوحدانية الله، وبالرسالة، وبالمعاد، وبلوازمها. والظفر على شقين: دنيوي وأُخروي. فالدنيوي هو الظفر بالسعادات التي تطيب بها الحياة الدنيا وتلبي حاجات الجسم على الأغلب، وهو الغنى والعز، والظفر الأخروي هو الفوز بالجنة وبما وعدنا به الله تعالى في الآخرة.

وإذا كنّا من المؤمنين بالله تعالى ورسوله ﷺ والأئمة الأطهار (عليهم الصلاة والسلام)، وعملنا بقولهم، فلن نكون من الخاسرين، إن شاء الله، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «كان قد زالت عنكم الدنيا كما زالت عمن كان قبلكم، فأكثروا عباد الله اجتهادكم فيها، بالتزود من يومها القصير ليوم الآخرة الطويل؛ فإنها دار العمل والدار الآخرة دار القرار والجزاء، فتجافوا عنها، فإن المغتر من اغتر بها،

---

(١) سورة المؤمنون: ١.

لن تعد الدنيا إذا تناهت إليها أمنية أهل الرغبة فيها، المطمئنين إليها المغترين بها، أن تكون كما قال الله تعالى: ﴿كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ﴾[1]. ألا إنه لم يصب امرؤ منكم من هذه الدنيا حبرة إلاّ أعقبتها عبرة، ولا يصبح امرؤ في حياة إلاّ وهو خائف منها أن تئول جائحة، أو تغير نعمه، أو زوال عافيته، والموت من وراء ذلكم وهول المطلع والوقوف بين يدي الحكم العدل، ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[2] ويجزي ﴿الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[3]»[4].

---

(١) سورة يونس: ٢٤ .

(٢) سورة الجاثية: ٢٢.

(٣) سورة النجم: ٣١.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٥ ص١٩ ب١٥ ح٧٧.

محمد الفاتح وفتح تركيا

كانت (القسطنطينية) عاصمة الدولة الرومانية [1]، ففي الزمن

---

(١) تعد القسطنطينية من أهم المدن العالمية، أسست في عام (٣٣٠م) على يد الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الأول، وقد كان لها موقع عالمي فريد حتى قيل: لو كانت الدنيا مملكة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها، ومنذ تأسيسها اتخذها البيزنطيون عاصمة لهم، وهي من أكبر المدن في العالم وأهمها. قيل: إن سبب أهمية فتح هذه المدينة عند المسلمين هو حديث رووه عن رسول الله ﷺ ولهذا فقد تنافس حكام المسلمين وقادتهم على فتحها عبر العصور المختلفة طمعاً في أن يتحقق فيهم الحديث المسند إلى رسول الله ﷺ حيث رووا عن عبد الله بن بشر الخثعمي عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش» قال فدعاني مسلمة بن عبد الملك، فسألني فحدثته فغزا القسطينية.

تعددت على فتحها حملات المسلمين منذ أيام معاوية بن أبي سفيان في سنة (٤٤هـ) ولم تنجح هذه الحملة، وقد تكررت حملات أخرى في عهده آلت إلى نفس النتيجة. كما قامت الدولة الأموية بمحاولة أخرى لفتح القسطنطينية، وتعد هذه الحملة أقوى الحملات الأموية عليها، وهي تلك الحملة التي تمت في أيام سليمان بن عبد الملك سنة (٩٨هـ).

واستمرت المحاولة لفتح القسطنطينية إلى العصر العباسي حيث شهد حملات عسكرية مكثفة ضد الدولة البيزنطية، ولكنها لم تتمكن من الوصول إلى القسطنطينية نفسها وتهديدها مع أنها هزتها وأثرت على الأحداث داخلها، أهم تلك الحملات تلك التي تمت في أيام هارون العباسي سنة (١٩٠هـ).

←

الذي قام فيه المسلمون بالهجوم على إيران، وذلك لأن طغاة الفرس قد استعدوا لغزو المسلمين، فبادرهم المسلمون ودخلوا إيران دون مقاومة تذكر، وكانت السلطة قبل ذلك لرؤساء تعاقبوا على الحكم منهم: قباذ وماني[1]، وكانوا قد جرّوا البلاد إلى الفساد..

→

وفي مطلع القرن الثامن الهجري تجددت المحاولات لفتح القسطنطينية من قبل العثمانيين وكانت البداية في أيام بايزيد الملقب بالصاعقة، وتمكنت قواته من محاصرتها بقوة سنة (٧٩٦هـ -١٣٩٣م)، ولكن السلطان بايزيد اضطر لسحب قواته وفك الحصار عن القسطنطينية لمواجهة المغول الذين هاجموا العثمانيين، وقد دارت معركة أنقرة الشهيرة، والتي أسر فيها السلطان بايزيد ثم مات بعد ذلك في الأسر سنة (١٤٠٢م) وكان نتيجة ذلك أن تفككت الدولة العثمانية مؤقتا، وتوقف التفكير في فتح القسطنطينية إلى حين.

وبعد استقرار الدولة العثمانية أيام السلطان مراد الثاني (٨٢٤هـ - ٨٦٣هـ) جرت عدة محاولات لفتح القسطنطينية وتمكنت جيوش العثمانيين في أيامه من محاصرتها أكثر من مرة، وكان الإمبراطور البيزنطي في أثناء تلك المحاولات يعمل على إيقاع الفتنة في صفوف العثمانيين، وبهذه الطريقة نجح في إشغاله في هدفه الذي حرص عليه، فلم يتمكن العثمانيون من تحقيق ما كانوا يطمحون إليه إلا في زمن ابنه محمد الفاتح فيما بعد.

(١) قباذ بن فيروز بن يزدجرد ملك الفرس سنة (٤٨٨م) ملك وهو ابن خمس عشرة سنة. أما ماني: فهو المولود حوالي (٢٤٠ م) وادعى أنه النبي الموعود الذي جاء اسمه في الانجيل: ياراقليت، ودعا الناس إلى مذهب جديد بين المسيحية والزردشت، قتله الملك بهرام سنة (٢٧٤م) ويطلق عليه اسم ماني النقاش.

وكان الشعب الإيراني آنذاك، متعباً من كثرة ظلم حكامه، وهو ينتظر دخول المسلمين، للخلاص من الجور والاستبداد وأوضاع التحلل والفساد، وجرائم الحكام بحق أبنائه.

فالناس آنذاك، عملوا كل ما في وسعهم لتذليل العقبات أمام انتصار المسلمين، ليتم إنقاذهم من عبث هذين الطاغيتين وفسادهما.

ومن هنا يمكن أن يقال: إن إيران لم تؤخذ بالحرب بالمعنى المصطلح لها، لأن التحكم السيء برقاب الناس والسلطة الظالمة والعنف الحاكم، قد مهّد الطريق لأنْ يتخلى الناس عن حكومتهم، ويرضوا بأيّ حكومة بديلة تخلّصهم من الاستبداد والقمع والجور، وخاصة إذا كان البديل هو الإسلام العادل، وكان الشعب قد سمع بقيم الإسلام واحترامه وتقديره للإنسان، ولهذه الأسباب دخل المسلمون إلى إيران بكل سهولة.

أما من جهة الشمال، أي الرومان، فالمسألة كانت أصعب بكثير، فحينما وصل المسلمون إلى حدود القسطنطينية خرج بعض الناس وقاوموهم مقاومة شديدة، وكانوا يصرون على عدم فسح المجال أمام تقدم المسلمين؛ إذ أنّ السلطة والكنيسة في الدولة الرومانية كانتا تشعران بخطر الإسلام عليهما وعلى مصالحهما، فاتجهتا إلى الناس وعملتا على كسب تأييدهم من ناحية، ومن

ناحية أخرى عملتا على رفع القدرات العسكرية لبلادهم من توفير السلاح وتجنيد الناس؛ فكانت للروم أساليب عسكرية، تعتبر في وقتها، منيعة ومتطورة، مثل الأسوار والمنجنيق[1] وأمثالهما.

وقد دامت مقاومة العاصمة بالذات زمناً طويلاً، وبعد ذلك قام بنو أمية بهجوم آخر لاحتلال القسطنطينية، إلاّ أنهم خسروا المعركة آنذاك. وكذلك قام بنو العباس بمحاولة احتلالها بمعركة مشابهة ولم يفلحوا أيضاً.

---

(١) المَنْجَنِيقُ والمِنْجَنِيقُ، بفتح الميم و كسرها، و المَنْجَنُوق: القَذَّاف، التي ترمى بها الحجارة، دخيل أعجمي معرب، وأصلها بالفارسية: مَنْ جِي نِيكْ، أي ما أَجْوَدَني، وهي مؤنثة، وتقديرها مَنْفَعِيل لقولهم: كنا نُجْنَقُ مَرَّةً و نُرْشَقُ أُخرى.

قال الفراء: و الجمع مَنْجَنِيقات، وقال سيبويه: هي فَنْعَليل الميم من نفس الكلمة أصلية لقولهم في الجمع مَجانِيق، وفي التصغير مُجَيْنِيق، ولأنها لو كانت زائدة والنون زائدة لاجتمعت زائدتان في أول الاسم، و هذا لا يكون في الأسماء ولا الصفات التي ليست على الأفعال المزيدة، ولو جعلت النون من نفس الحرف صار الاسم رباعيّاً والزيادات لا تلحق ببنات الأربعة أوّلا إلا الأسماء الجارية على أفعالها نحو مُدَحْرِج، ومنهم من قال: إن الميم والنون زائدتان لقولهم جَنَقَ يَجْنِق إذا رمى.

التهذيب في الرباعي: أبو تراب مِنْجَلِيق و يقال جَنَّقوا المجانيق ومَجْنَقوها؛ وفي حديث الحجاج: أنه نصب على البيت مَنْجَنِيقاً وَكَّل بها جانِقَين، فقال أحد الجانِقين عند رميه: خَطَّارة كالجمل الفَنِيق أَعْدَدْتُها للمسجد العَتِيقِ

الجانِقُ: الذي يدير المَنْجنيق و يرمي عليها.

انظر لسان العرب: ج١٠ ص٣٣٨ مادة (مجنق).

أمّا المرة الثالثة فكانت على يد السلطان محمد الفاتح[1] وذلك

(١) هو السلطان محمد الثاني (٤٣١هـ ـ ١٤٨١م) ، هو السابع في سلسلة الحكام العثمانيين لقب بالفاتح وأبي الخيرات. حكم ما يقرب من ثلاثين عاماً. تولى حكم الدولة العثمانية بعد وفاة والده في (٨٥٥هـ ـ ١٤٥١م) وكان عمره آنذاك (٢٢ سنة) امتاز محمد الفاتح بشخصية فاقت من سبقه من السلاطين العثمانيين فاق أقرانه منذ حداثته في كثير من العلوم التي كان يتلقاها في مدرسة الأمراء وخاصة معرفته لكثير من لغات عصره وميله الشديد لدراسة كتب التاريخ، مما ساعده فيما بعد على إبراز شخصيته في الإدارة وميادين القتال، حتى أنه اشتهر أخيراً في التاريخ بلقب محمد الفاتح، لفتحه القسطنطينية.

قام بإعادة تنظيم إدارات الدولة المختلفة، واهتم كثيراً بالأمور المالية، فعمل على تحديد موارد الدولة وطرق الصرف منها بشكل يمنع الإسراف والبذخ أو الترف. وكذلك ركز على تطوير كتائب الجيش وأعاد تنظيمها ووضع سجلات خاصة بالجند، وزاد من مرتباتهم وأمدهم بأحدث الأسلحة المتوفرة في ذلك العصر. وعمل على تطوير إدارة الأقاليم، وأقر بعض الولاة السابقين في أقاليمهم، وعزل من ظهر منه تقصيراً أو إهمالا، وطور البلاط السلطاني وأمدهم بالخبرات الإدارية والعسكرية الجيدة، مما ساهم في استقرار الدولة والتقدم إلى الأمام، وبعد أن قطع أشواطاً في الإصلاح الداخلي تطلع إلى المناطق المسيحية في أوروبا لفتحها ونشر الإسلام فيها، ولقد ساعدته عوامل عدة في تحقيق أهدافه، منها الضعف الذي وصلت إليه الإمبراطورية البيزنطية بسبب المنازعات مع الدول الأوروبية الأخرى، وكذلك بسبب الخلافات الداخلية التي عمت جميع مناطقها ومدنها، ولم يكتف السلطان محمد بذلك، بل إنه عمل بجد من أجل أن يتوج انتصاراته بفتح القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، والمعقل الاستراتيجي الهام للتحركات الصليبية ضد العالم الإسلامي لفترة طويلة من الزمن، والتي طالما اعتزت بها الإمبراطورية البيزنطية ←

في أيام العثمانيين، وكان محمد الفاتح من علمائهم وبعد أن صار حاكما، فكّر بفتح القسطنطينية على أيدي المسلمين، وحدّد مقومات النصر وقام بإعدادها من قوة الجيش وتقوية معنوياته، فوضع لذلك برنامجاً خاصاً، وما إنْ رتب وضع الجيش عسكريا، حتى أمر العلماء أنْ يرفعوا من معنويات الناس إلى أعلى درجة ممكنة، وأن يذكّروا الناس بثواب الجهاد في سبيل الله، وثواب قتال الكفار الذين يخططون ضد المسلمين.

ثم أمر في يوم جمعة إلى الصلاة جماعة، ودعا إلى البكاء أثناء الصلاة، إيماناً منه بأنّ للبكاء تأثيراً على القلوب أكثر من تأثير أي عمل عاطفي آخر.

ومن جهة أخرى، فإن السلطان محمد الفاتح أمر عدداً من رجاله أن يتغلغلوا في بلاد الروم لتقصي أخبارهم، وبعد مدة قصيرة عادوا، وجاءوا بخبر مفادُه أنّ علماءهم منشغلون بالبحث حول أنّه لما أصيب عيسى عليه السلام هل أصيب في ناسوتيته أم لاهوتيته؟!

وأما البقية فمنشغلون بالتجارة والبيع والشراء، وملذاتهم، ولم يوجد هناك أي مؤشر يدل على أنّ الروم متأهبون للقتال.

→

بصورة خاصة والمسيحية بصورة عامة، وجعلها عاصمة للدولة العثمانية.

كما أن الظلم قد تفشى في حكامهم، والشعب قد تعب من جور طغاتهم.

عند ما عرف محمد الفاتح ذلك، أمر الجيش بشنّ هجوم مفاجئ على دولة الروم، ومع أنّ جيش الروم كان يملك عدداً كافياً من المنجنيقات والأسلحة القوية، وكان قادراً في أية لحظة على أنْ يصب النار على رؤوس أفراد جيش محمد الفاتح ويفتك بهم، ولكن المفاجأة التي استعملها محمد الفاتح، حالت دون ذلك. مضافا إلى أن الشعب لم يساند الحكومة لتصدي المسلمين.

وبالنتيجة وصل المسلمون إلى أبواب المدينة، ودخلوها وسقطت عاصمة الروم القسطنطينية على يد محمد الفاتح، الذي ما أن سجل نصره على الروم، حتى صلّى هناك ركعتين شكراً لله.

وبالرغم من أنّ محمد الفاتح كأغلب الحكام لم يكن ملتزماً بمبادىء الإسلام، ولم يتّبع أصول الدين بحذافيرها، ولكنّ عزمه الراسخ على تحقيق الهدف، ورفع معنويات المسلمين آنذاك، كان له الدور الفاعل في فتح القسطنطينية.

لأنّ المعنوية العالية عادة تأتي بالنصر، من دون فرق في هذه القاعدة بين المسلمين وغيرهم، أي وإنْ كانت أهداف المحاربين من وراء الحرب غير نبيلة أو غير مخلصة لكنهم إذا تمتعوا بمعنويات

عالية، فإنها تعد من مقومات النصر.

إذاً، الشيء الذي حاز على أهمية عظيمة وكان مؤثراً في هذه المعركة هو الإيمان القوي الذي يحل في القلوب.

ومن هنا نرى التأكيد الكبير في الروايات الشريفة على ضرورة التحلي بالإيمان القوي الذي لا يزعزه شيء.

قال الإمام الرضا عليه السلام: «الإيمان عقد بالقلب ولفظ باللسان وعمل بالجوارح»[1].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «المؤمن أصلب من الجبل، الجبل يُستقل منه، والمؤمن لا يستقلّ من دينه شيء»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن المؤمن أشد من زبر الحديد، إن زبر الحديد إذا دخل النار تغير، وإن المؤمن لو قُتل، ثم نُشر ثم قُتل، لم يتغير قلبه»[3].

والإيمان هو عزم راسخ، وتصديق بالشيء، والتزام به، وتهيئة أسبابه. والإيمان بالله هو التصديق بوحدانيته، وبرسله، واليوم الآخر، وبما جاء به الأئمة الأطهار عليهم السلام.

---

(١) معاني الأخبار: ص ١٨٦ باب معنى الإسلام والإيمان ح٢.

(٢) الكافي: ج٢ ص ٢٤١ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح٣٧.

(٣) بحار الأنوار: ج٦٤ ص ٣٠٣ باب ١٤ ضمن ح٣٤.

لذا ذكرنا فيما سبق: إنّ قوة الإيمان ترتكز على قوة المعرفة والعقيدة من توحيد الله والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، ويتبعه باقي الأعمال الصالحة.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[1]، إلى غير ذلك من الآيات التي تشير إلى العمل الصالح، فإنه السبب إلى الفوز الأخروي والنصر الدنيوي.

والعمل الصالح هو شرط في التغيير نحو الأفضل كما لا يخفى.

المسلمون في صقلية

كان المسلمون قد وصلوا إلى القسم الجنوبي من صقلية[2]،

---

(١) سورة النحل: ٩٧.

(٢) صقلية: جزيرة وأقليم متمتع بالحكم الذاتي تتبع إيطاليا حالياً مساحتها، (٢٥٨١٥ كم٢) وعدد سكانها (٥.١٠٠٠٠٠ نسمة) يفصلها عن إيطاليا مضيق مسينا عن شبه الجزيرة، وعاصمتها بالمرمو، وهي أكبر جزر البحر المتوسط وأكثرها سكاناً، تقع بين بحر أيجا والبحر التريني، وهي في الشكل مثلثة الأضلاع، ومعظم سطحها جبلي فيما عدا سهل كاتانيا الخصيب. تعتمد في مواردها على الزراعة، وهي لا تزال تتبع في الزراعة الطرق البدائية، وتمتاز الجزيرة بمناخها اللطيف ومناظرها الطبيعية الفاتنة، وأهم صادراتها العنب والزيتون والبرتقال والكبريت والأسماك. أسس المدن الكبيرة لجزيرة صقلية الفينيقيون والقرطاجيون والأغريق، ثم صارت صقلية مستعمرة ←

ولم يبدأ إخضاع الجزيرة بصورة نظامية تامة، إلا في عهد المأمون العباسي بقيادة الأمير زيادة الله الأغلبي[1] ففي سنة (٢١٢هـ) أرسل إلى صقلية جيشاً كبيراً بقيادة «أسد بن الفرات» قاضي القيروان، وكان سبب إرسال الجيش، هو أنّ ملك الروم بالقسطنطينية، استعمل على جزيرة صقلية، بطريركاً اسمه «قسطنطين» عام (٢١١هـ). فلما وصل إليها عُيِّن رومياً اسمه «فيمي» قائداً على الأسطول، وقد كان حازماً فغزا أفريقيا، وأعمل فيها يد النهب

→

رومانية، ثم انتقلت إلى البيزنطيين، ثم سيطر عليها المسلمون حيث بدأوا سنة (٧٢٧هـ) وصاروا يفتحون معاقلها الواحد بعد الآخر حتى عام (٨٧٨هـ) صارت الجزيرة كلها في أيدي المسلمين، وبسبب الحروب الأهلية المستمرة بين القبائل العربية سقطت في يد النورمان وفتحها، ثم اكمل احتلالها الملك روجر سنة (١٠٩٠هـ).

(١) هو زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب بن سالم، كنيته: أبو محمد. رابع أمراء الأغالبة صاحب أفريقيا، وقد ولي الإمارة بعد أخيه عبد الله سنة (٢٠١هـ) في زمن المأمون العباسي، وكان يدعو للمأمون في خطبه أيام وثوب إبراهيم بن المهدي على الحكومة، فلما خلصت للمأمون شكر له ذلك. وقد اضطربت البلاد على الأمير التغلبي، فكثرت الفتن وضعف أمره حتى لم يبق على طاعته سنة (٢٠٩هـ) من أفريقيا إلا فاس والساحل وطرابلس وقبائل نفزاوه، ثم قوي أمره وانجدته نفزاوه. فجهز أسطولاً عظيماً سنة (٢١٢ هـ) وسيّره إلى جزيرة صقلية، فاستولى على معظم حصونها. توفي في القيروان، وكان فصيحاً أديباً يعرب من كلامه من غير تقعر، بنى سور سوسة، وهو أول من سمي زيادة الله من ولاة بني الأغلب.

والتخريب، وشقّ عصا الطاعة عن أمير الجزيرة «قسطنطين» فالتقى الطرفان في معركة كبيرة حتى حلت الهزيمة بقسطنطين، وفرّ إلى مدينة قطانية، فزحف «فيمي» بجيشه على الجزيرة، وأمسك به فقتل «قسطنطين»، ثم أعلن نفسه ملكاً على تلك الجزيرة. وحدث أيضاً نفس الأمر، بأنْ شق عصا الطاعة اثنان من حكام مدنه، فتقاتلا مع «فيمي» وألحقا به هزيمة منكرة، فهنا طلب «فيمي» المساعدة والنجدة من «زيادة الله» ووعده بملك جزيرة صقلية، فسير معه جيشاً في ربيع الأول عام (٢١٢هـ)، فوصلا إلى مدينة مازر، حيث تقابلا مع جيش حاشد من الروم، ودارت بين الفريقين معركة رهيبة، أسفرت عن هزيمة الروم، واستيلاء المسلمين على أموالهم ودوابّهم، وتمكّن المسلمون من أنْ يخضعوا سريعاً لسلطانهم عدداً كبيراً من قلاع الجزيرة، وحاصروا سرقوسة، واستمر زحف المسلمين، حتى تم فتح جزيرة صقلية بأكملها. وكان أول حاكم لها هو «أبو الأغلب إبراهيم بن عبد الله» ومنها أيضاً انتشر الإسلام إلى المدن المجاورة، حتى وصل إلى ساحل كلابريا في جنوبي إيطاليا[1].

وقد تم هذا النصر الإسلامي بفضل المعنويات العالية التي كان

---

(١) للتفصيل ينظر كتاب (موجز تاريخ الإسلام) للإمام الشيرازي الراحل قدس سره وهو تلخيص لكتاب (حضارة العرب) للدكتور غوستاف لوبون.

يتمتع بها المسلمون آنذاك.

ومن الواضح تأثير المعنويات العالية في تحقق الانتصارات في الحروب والمعارك وسائر شؤون الحياة.

المسلمون اليوم

أما اليوم وبعد أن تغير واقع المسلمين وضعفت معنوياتهم، وتخلوا عن الإسلام وأحكامه العظيمة ـ في الأعم الأغلب ـ واتجهوا إلى القوانين الوضعية الشرقية والغربية، وأصبحوا في دويلات ومناطق متفرقة وصغيرة، يطلق عليها اسم العالم الثالث، حسب تصنيفهم. في حين أنّ الإسلام كان أساس الحضارات والتطور والتقدم لشعوب العالم أجمع، وما نراه في الوقت الحاضر من تكنولوجيا متطورة، فأصولها كانت بيد المسلمين ولكن استفاد منها الغرب، ونحن تركنا مقومات التقدم واتجهنا إلى مشاكل جانبية، ونزاعات طائفية وجاهلية، قد نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «أنا النذير العريان» لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم. لذا يلزم السعي والجد والاجتهاد، في تغيير المجتمع الإسلامي وتحويله من الجهل والظلم الحاصل في وقتنا الحاضر إلى العلم والنور، لننال رضى الله تعالى ورسوله والأئمة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين ونفوز بسعادة الدنيا والآخرة وما ذلك

على الله بعزيز.

«اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلّغنا به من رضوانك، ومن اليقين ما يهون علينا به مصيبات الدنيا. اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثارنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا، برحمتك يا أرحم الراحمين»[1].

(١) الإقبال: ص٦٩٩ فصل فيما نذكره من فضل ليلة النصف من شعبان.

من هَدي القرآن الحكيم

العزم والصبر

قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾[2].

وقال عزوجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لانَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4].

وقال عزوجل: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[5].

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ

---

(١) سورة طه: ١١٥.

(٢) سورة مريم: ٦٥.

(٣) سورة طه: ١٣٢.

(٤) سورة الأعراف: ١٢٨.

(٥) سورة الأحقاف: ٣٥.

الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

وقال جل وعلا: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[2].

العصبية والجاهلية

قال جل اسمه: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ۞ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾[3].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً ۞ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً ۞

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة لقمان: ١٧.

(٣) سورة الفتح: ٢٥ـ٢٦.

وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾[1].

وقال عز ذكره: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ۞ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَولَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[4].

الإمام خليفة الله

قال عزوجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[5].

---

(١) سورة الكهف: ٣٢ـ ٣٤.

(٢) سورة الشعراء: ١٠٦ـ ١١١.

(٣) سورة الزخرف: ٥١ ـ ٥٢.

(٤) سورة البقرة: ١٧٠.

(٥) سورة السجدة: ٢٤.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[1].

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[2].

وقال جل وعلا: ﴿أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٧.

(٢) سورة الرعد: ٧.

(٣) سورة النساء: ٥٩.

(٤) سورة ص: ٢٦.

(٥) سورة النمل: ٦٢.

من هدي السنّة المطهّرة

العزم والحزم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأحزم الناس أكظمهم للغيظ»[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا اقترن العزم بالحزم كملت السعادة»[٢]. وقال عليه السلام: «أصل العزم الحزم، وثمرته الظفر»[٣].

وقال عليه السلام: «ثمرة الحزم السلامة»[٤].

وقال عليه السلام: «كذب السفير يولد الفساد ويفوت المراد ويبطل الحزم وينقض العزم»[٥].

وقال عليه السلام: «الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت»[٦].

وقال عليه السلام: «الحزم النظر في العواقب ومشاورة ذوي العقول»[٧].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٨ ص٤٢١ ب٩٣ ح٥٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٧٤ ق٦ ب٦ ف٣ ح١٠٨٦٥.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٧٦ ق٦ ب٦ ف٣ ح١٠٩٠٤.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٧٤ ق٦ ب٦ ف٣ ح١٠٨٦٦.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤٥ ق٤ ب٢ ف٦ ح٧٩٢٨.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٧٥ ق٦ ب٦ ف٣ ح١٠٨٧٧.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٧٥ ق٦ ب٦ ف٣ ح١٠٨٨١.

العصبية والجاهلية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كان في قبله حبة من خردل من عصبية، بعثه الله تعالى يوم القيامة مع أعراب الجاهلية»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من تعصب أو تُعصب له، فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه»[2].

وقال عليه السلام: «إن الملائكة كانوا يحسبون أن إبليس منهم، وكان في علم الله أنه ليس منهم، فاستخرج ما في نفسه بالحمية والغضب وقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[3]»[4].

وقال عليه السلام: «من تعصب عصّبه الله بعصابة من نار»[5].

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: «العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين...»[6].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٠ ص٢٨٤ ب١٣٣ ح٢.

(٢) الكافي: ج٢ ص٣٠٧ باب العصبية ح١.

(٣) سورة ص: ٧٦.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٧٢ ب٥٧ ح٢٠٧٧٦.

(٥) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٧١ ب٥٧ ح٢٠٧٧٤.

(٦) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٧٣ ب٥٧ ح٢٠٧٧٨.

أهمية التخطيط والحكمة

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس، لا خير في دين لا تفقه فيه، ولا خير في دنيا لا تدبير فيها، ولا خير في نسك لا ورع فيه»[1].

وقال عليه السلام: «قدّر ثم اقطع، وفكر ثم انطق، وتبين ثم اعمل»[2].

وقال النبي عيسى بن مريم (على نبينا وآله وعليه السلام): « بحق أقول لكم: إن النفس نور كل شيء، وإن الحكمة نور كل قلب، والتقوى رأس كل حكمة، والحق باب كل خير، ورحمة الله باب كل حق، ومفاتيح ذلك الدعاء والتضرع والعمل، وكيف يفتح باب بغير مفتاح؟!»[3].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الهيبة خيبة، والفرصة خلسة، والحكمة ضالة المؤمن، فاطلبوها ولو عند المشرك، تكونوا أحَقَّ بها وأهْلَها»[4].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٧ ص٣٠٧ ب٥٧ ح٣٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦١ ق١ ب١ ف٩ ح٦٩٦.

(٣) بحار الأنوار: ج١٤ ص٣١٦ ب٢١ ضمن ح١٦.

(٤) أمالي الشيخ الطوسي رحمه الله: ص٦٢٥ المجلس٣٠ ح١٢٩٠.

الإمامة خلافة الله

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما الأئمة قوام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده، ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلاّ من أنكرهم وأنكروه»[1].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «الأئمة خلفاء الله عزوجل في أرضه»[2].

وقال عليه السلام: «الإمامة خلافة الله، وخلافة الرسول، ومقام أمير المؤمنين، وميراث الحسن والحسين صلوات الله عليهم»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اسمعوا وأطيعوا لمن ولاه الله الأمر، فإنه نظام الإسلام»[4].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١١٥ ق١ ب٥ ف١ ح١٩٩٦.

(٢) الكافي: ج١ ص١٩٣ باب أن الأئمة عليهم السلام خلفاء الله عزوجل في أرضه وأبوابه ح١

(٣) الكافي: ج١ ص٢٠٠ باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته ح١.

(٤) أمالي الشيخ المفيد: ص١٤ المجلس٢ ح٢.

الفهرس

كلمة الناشر..... ٣
أسس التغيير..... ٦
النذير العريان..... ٨
التعصبات الباطلة..... ١٢
الحروب القبلية..... ٢٠
واجب المسلمين..... ٣٠
المذابح والاستهانة بالإنسان..... ٣٥
محمد الفاتح وفتح تركيا..... ٤٦
المسلمون في صقلية..... ٥٤
المسلمون اليوم..... ٥٧
من هَدي القرآن الحكيم..... ٥٩
من هدي السنّة المطهّرة..... ٦٣